مِنْ دلالاتِ الرَّمْزِ والإشارةِ في القرآنِ الكريمِ

أ.م.د.علاء كاظم جاسم الموسوي
كلية الآداب – جامعة بابل

مقدمة البحث:

البحث بعنوان " من دلالات الرمز والإشارة في القرآن الكريم " وكنت قد تطرقت إلى الرمز والإشارة في أطروحتي للدكتوراه الموسومة بـ "الدلالة القرآنية عند أبي جعفر النحاس " بوصفهما مما يتصل بحال المشاركين في أثناء العملية الكلامية وذلك من خلال العلامات غير اللفظية كحركة العينين والبدن وحال الوقوف وما يعتري الوجه من تقطيب الحاجبين وجحوظ العينين ، وغير ذلك مما يتصل بما يُعرَف بسياق الحال أو سياق الظرف وفي آية واحدة وفي كتب أبي جعفر النحاس فقط ,وذلك في قصة سيدنا إبراهيم (u) وقت تبشير زوجه(سارة) – في أصح الأقوال- بمولودها وهو إسحاق (u) في قوله تعالى: { ÏMn=t7ø%r'sù ¼çmè?r&t øB$# ' Îû ;o§ |À ôM©3|Ásù $ygygô_ur ôMs9$s%ur î–qègx'' ×LìÉ)tã {[الذاريات / 29] ، ولتسليطِ الضوءِ على هذا الجانبِ المهمِ من الدراساتِ القرآنيةِ الدلاليةِ رأينا دراسةَ دلالات الرمز والإشارة في القرآن الكريم وعند أهلِ التفسيرِ عامتِهِم ، وذلك من خلال عرض نماذج قرآنية لتبيان ذلك الجانب .

وقد اقتضتْ طبيعةُ البحثِ أنْ أقدِّمَ توطئة عُنيتْ بدراسة الرمز والإشارة لغةً ،ثم دراسة مكانتهما في الدرس اللغوي ،واتبعْتُهُ بدراسة دلالتهما في القرآن الكريم وذلك من خلال دراسة اللفظة التي يقوم عليها البحث لغةً مع دراسة أثر الظروف المحيطة بالنص القرآني المتمثل بسبب نزول الآية في الغالب وغير ذلك مما له علاقة بسياق التنزيل ، والله من وراءِ القصدِ والحمدُ للهِ أولاً وآخراً .

التوطئة :

الرمز والإشارة ومكانتهما في الدرس اللغوي

قال الخليل بن أحمد " الرمز باللسان : الصوت الخفي ، ويكون الرمز : الإيماء بالحاجب بلا كلام ومثله الهمس[1] ، والرمز: إشارةٌ وإيماءٌ بالعينين والحاجبين والشفتين والفم ، وكل ما أشرتَ إليه مما يُباينُ بلفظٍ بأيِّ شيء أشرتَ إليه بيدٍ أو بعينٍ أو غير ذلك فهو رمزٌ[2] ، وقد وردتْ هذه اللفظةُ في القرآن الكريم وذلك في سياق قصة سيدنا زكريا (u) حين بُشِّر بولادة سيدنا يحيى (u)في قوله تعالى : (tA$s% Éb>u ‘ 4’ ¯Tr& ãbqä3t*ƒ* ' Í< ÖN»n=äî ô‰s%ur zÓÍ_tón=t/ ç y9Å6ø9$# ' ÎAr&t øB$#ur Ö Ï%$tã (tA$s%š Ï9ºx‹x. ª!$# ã@yèøÿt*ƒ* $tB âä!$t±o„ * tA$s% Éb>u ‘ @yèô_$# þ’ Ík< Zpt*ƒ*#uä (tA$s% y7çGt*ƒ*#uä wr& zOÏk=x6è?}¨$¨Y9$# ‘spsW»n=rO BQ$*ƒ*r& wÎ) #Y“øBu) [آل عمران / 40-41] ، فقوله : (رمزاً) أي: إشارةً ،وقد تستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين ، وأصلها الحركة [3] .

وأما في ما يتعلق بلفظة (أشار) فقد وردت في (لسان العرب) أنَّ " أشار إليه وشوَّر: أومأ ، يكون بالكفِّ والعينِ والحاجب " [4] ، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في سياق قصة سيدتنا مريم (عليها السلام) حين جاءتْ قومها تحمل سيدنا عيسى (u) في قوله تعالى :) (#qä9$s% ôNu ‘$x©r'sù Ïmø‹s9Î) (y#ø‹x. ãNÏk=s3çR `tB šc%x. ' Îû Ï‰ôgyJø9$# $wŠÎ6|¹) [مريم / 29] ، فقوله (أشارتْ إليه) في الآية أي: " أشارت لهم إلى عيسى أنْ كلِّموه " [5] ، فإشارتها قد دلَّت على أنَّها تحيلهم إليه ليسألوه عن قصته ولذلك غضبوا وقالوا: لسخريتُها بنا حتى تأمرنا أنْ نكلِّمَ هذا الصبي أشدُّ علينا من زناها ما يعني أنهم قد فهموا ذلك من إشارتها [6] ، وقال رسول الله (r) في كافل اليتيم : ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما)) [7] دلالةً على التلازُمِ والصحبةِ وقد شهد الذين كانوا بحضرةِ الرسولِ الكريمِ

---

[1] . (العين :7/366 ، مادة(رمز ()
[2] . (ينظر: لسان العرب:5/356 ،مادة(رمز ()
[3] . ينظر : معالم التنزيل: 2/36، وأنوار التنزيل :1/ 37، والجامع لأحكام القرآن :4/81 ()
[4] . (لسان العرب:4/434 ، مادة(شور ()
[5] . جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 18/ 188 ()
[6] .ينظر: الجامع لأحكام القرآن : 11/95 ، وتفسير القرآن العظيم :5/228 ، والتحرير والتنوير :16/33 ()
[7] . صحيح البخاري : 5/ 2032 ، وصحيح مسلم : 4/ 2287()

(r) تلك الحركةُ الجسديةُ التي أفضتْ إلى تعيُّنِ المعنى على وجه الدقة ، ولما جاء الراوي ليرويَ الحديثَ الشريفَ لم يجدْ بُدّاً من روايةِ الحركة، إذْ هي عمادُ الحديثِ ، فكان بتمثُّلِهِ حركتَه الشريفة التي عمادُها تلازُمُ السبابةِ والوسطى ، واقترانهما معاً ليكون حظُّ كافلِ اليتيمِ كما كان حظُّ سبابتِه ووسطاه الشريفتين من تلازُمٍ ، فرُوِيتْ الحركةُ بالكلماتِ تجليةً وتحقيقاً للمعنى المراد [8] ، وقد أقرَّتِ الشريعةُ الإسلاميةُ الإشارةَ صلاةً للعاجز [9] ، وشواهد (لغة الحركة) في الحديث النبوي ودلالاتها كثيرة من مثل تعبيرات الوجه للدلالة على الفرح أو الحزن ومن مثل لغة العيون وحركات الرأس والأيدي ، بل وفي صمتِ المرأةِ استئذاناً للنكاحِ دلالةٌ ، فلكلٍ دلالةٌ بحسب الموقفِ[10].

ومن يتصفَّح أشعارَ العربِ يجد استعمالهم الحركاتِ الجسمية أداةً للتعبير ، فمن حركتي (خضوع الرقاب وتنكيس الأبصار) دلالةً على الذلة قول الفرزدق[11] :

وإذَا الرِّجالُ رَأوا يَزيدَ رَأيْتَهُمْ ... خُضعَ الرِّقابِ نَواكِسِ الأبْصَارِ

ومن حركة العينين مبالغةً في العداوة والبغضاء ما أنشده ابن قتيبة [12] :

يَتقارَضونَ إذا الْتَقَوْا في مَوْطِنٍ نظراً يُزِيلُ مَواطِئَ الأقْدامِ

ومن لطيفِ شعرِ عمر بن أبي ربيعة مبيناً المعاني النفسيّة الخفيّة قوله: [13]

أشارتْ بطرفِ العينِ خِيفةَ أهلِها إشارةَ محْزونٍ[14] ولم تتكلَّمِ

فأيقنْتُ أنَّ الطرْفَ قد قال مرحبًا وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المتيَّمِ

وقيل في المأثور عن كلام العرب: ((ربَّ إشارةٍ أبلغُ من عبارة)) [15] .

وتنقسم الإشارات العضوية على قسمين رئيسين : إشارات سمعية ويندرج فيها كلٌ من الكلام والموسيقى الصوتية التي ينتجها الإنسان بوساطة الفم ، وغيرها من الأصوات التي لا يستعمل الإنسان فيها إلا أوتاره الصوتية فقط ، وأخرى بصرية كالحركات التي تنتج مباشرة بوساطة أعضاء الجسم وتتمثل في حركة الإصبع مثلاً التي تعطي للمتلقي معنى التقهقر أو اللعنة ، وحركات الرأس التي تدل على الموافقة أو عدمها علاوة على رفع الحاجبين وحركات العينين وغيرها من الحركات التي ندركها بالبصر لتدلَّ على مُرسلةٍ يودُّ المرسِلُ أن يُوصلها إلى المرسَلِ إليه[16] .

ومن هنا فللحركة التي تقوم على الإشارة مكانتُها في الدراساتِ اللغويةِ ، فقد تكونُ باليد وبالرأسِ والحاجبِ وبالسيفِ وبالثوبِ ، وقد يتهدَّد رافعُ السيفِ والسوطِ فيكون ذلك زاجراً ومانعاً وقد يكون تحذيراً ووعيداً [17] ، ومن خلالِ الحركة الجسمية مع ملاحظة قرينة سياق الحال قد تُحذفُ (الصفة) ، إذْ يُفهم من أنَّك إنْ ذممتَ إنساناً " ووصفته بالضيق، قلْتَ: سألناه وكان إنساناً وتزْوي وجهكَ وتقطّبُهُ ، فيغْني ذلك عن قولكَ : إنسانًا لئيمًا أو لحِزًا أو مُبخّلاً أو نحو ذلك " [18] .

وعقد أبو منصور الثعالبي في كتابه ((فقه اللغة وسر العربية)) بابًا وسمه بـ " تَفْصِيلِ تَحْرِيكَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ" ، جمعَ فيه ألفاظَ حركاتٍ جسديةٍ تنتظم في حقلٍ دلاليٍّ واحدٍ تنتسب إلى مَلْحظِ (الحركة) ، ومنه قول العرب : الإنْغَاضُ وهو تَحْرِيكُ الرَّأْسِ ، والطَّرْفُ تَحْرِيكُ الجَفُونِ في النَّظَرِ،والتَّرَمْزُمُ تَحْرِيكُ الشَّفَتَيْنِ لِلكَلام ، والتَّلَمُّظ تَحْرِيكُ اللِّسَانِ والشَّفَتَيْنِ بَعْدَ الأكْلِ كأَنَّهُ يَتَتَبَّعُ بِلِسَانِهِ ما بَقِيَ بين أَسْنَانِهِ، والمَضْمَضَةُ تَحْرِيكُ المَاءِ في الفَمِ ، والهَدْهَدَةُ تَحْرِيكُ الأُمِّ وَلَدَهَا لِيَنَامَ . [19].

ويُعَدُّ العالم الأنثربولوجي (راي بير دوسيل) من أشهر المحدثين الذين عنوا بدراسةِ الحركاتِ الجسميةِ أداةً للتواصل الإنساني أو التي تصاحبُ لغته المنطوقة بما يعزز فهم العملية اللغوية النطقية نفسها ، ويفيد أيضاً في فهم ظواهر البناء الاجتماعي للجماعات المعينة ، فالحركاتُ الجسميةُ نظامٌ يتعلمه الإنسانُ داخل المجتمعِ له أنماطه الخاصة التي تتعلق بالعادات والتقاليد الاجتماعية والحضارية لشعبٍ معينٍ أو أمةٍ معينة [20] .

---

[8] . ينظر: البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد) : 234 ()

[9] . ينظر: المعنى اللغوي ((دراسة عربية مؤصلة نظرياً وتطبيقاً)) : 31 ()

[10] . ينظر : علم لغة الحركة بين النظرية والتطبيق : 138- 196 ()

[11] (ينظر: ديوان الفرزدق : 224 ، ولسان العرب : 6/ 241 ، مادة (نكس ()

[12] . ينظر: تفسير غريب القرآن : 482 ، ولسان العرب : 10/ 144 ()

[13] . ينظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة :326 ()

[14] استعان الجاحظ في كتابه(البيان والتبيين) بهذين البيتين لبيان مكانة الإشارة في التواصل الإنساني غير اللفظي ، ورواية البيت الأول : أشارتْ بطرفِ ()
. العينِ خِيفةَ أهلها إشارةَ مذعورٍ ولم تتكلَّمِ ، ينظر : البيان والتبيين : 1/78

[15] . ينظر: الخصائص : 1/ 248 ()

[16] ينظر : النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسن : 48 ()

[17] .ينظر: البيان والتبيين :1/77 ()

[18] .الخصائص:2/373 ()

[19] . ينظر: 133 ، والبيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد) :108-109()

[20] . ينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب :130()

ومن هنا عُدَّت الشيفرات الجسدية من مثل التعبيرِ بالوجهِ ، وإيماءاتِ الرأسِ ، وإيماءاتِ الوضعْة (هيأة الجلوس والوقوف) ، والتوجه الجسماني ، عُدَّ كلُّ ذلك فرعًا من الشيفراتِ الاجتماعيةِ في الدرْسِ السيميائي[21] . ويقرر علم الحركة الجسمية في الدرس اللغوي المعاصر أنَّ الحركةَ تستعمل بدلاً من الكلام حين تكون المسافة بين الباثِّ والمسْتَقْبِل بعيدةً ، بحيث لا يسمع الصوت أو عند وجود ضجيج يَحُوْلُ دون السماع الجيد ، فقد نلوِّحُ باليدين مودعين ، أو غير ذلك من الحركات [22] .

ومن تعريفات (علم الدلالة) أن يكونَ موضوعه " أي شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز. هذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق ، وقد تكون إشارةً باليدِ أو إيماءةً بالرأس"[23]

وهذا يعني أنَّ دلالةَ الرمزِ محكومةٌ بعاداتِ القومِ وأعرافِهم ، فالعلاماتُ على الطريقِ رموزٌ قد تواضعَ القومُ عليها ، والإشارةُ باليد والإيماءةُ بالرأس لهما دلالتهما بحسبِ تلك العاداتِ والأعراف ، وفي شقِّ الجيوبِ واللطمِ على الخدودِ دلالةٌ ،وفي هزِّ اليدين والعضِّ عليهما دلالةٌ ، وفي غمز العينين وجرِّ الشَّعْرِ دلالةٌ ، والضابط في ما تقدَّم هو سياق الموقف أو الظرف ، فالكلمات " في الواقع لا تتضمن دلالة مطلقة بل تتحقق دلالتها في السياق الذي ترد فيه"[24] ، ومعنى المقام أو المعنى الاجتماعي هو شرطٌ لاكتمالِ " المعنى الدلالي" الأكبر[25]

ومفهومُ مصطلحي الإشارةِ والرمزِ غيرُ واضحي المعالمِ في المنظومةِ المعرفيةِ عند الباحثين الغربيين القدامى من مثل أرسطو وأفلاطون ، علاوةً على الباحثين العرب القدامى ، والمحدثين وذلك تبعاً لاختلاف الدراسات المعرفية : سواء أكانت عند الفلاسفة أم عند أهل الكلام ، أو غيرهما ، وتبعاً للمدرسة اللغوية التي ينتمي إليها هذا اللغوي أو ذاك ، فضلاً عن أثر الترجمة عند المحدثين العرب ، فنجد عند هؤلاء الباحثين الرمز والإشارة والإيماء والوسم والعلامة والسيميائية ما أدى إلى ما يطلق عليه فوضى الاصطلاح في قطاعِ العلوم اللسانية [26].

وعلى أيَّةِ حالٍ فالذي يعنينا هو دلالاتُ الرمزِ والإشارةِ في القرآنِ الكريم ، سواء أكان رمزًا أم إشارةً أو إيماءً أو غير ذلك ، وأصله الحركةُ الجسديةُ كما مرَّ بنا ، بشرطِ أنْ تصلَ تلك الحركةُ إلى المتلقي مؤديةً دلالتها المقصودة ، ومن هذه الدلالات ما يأتي :

1. المبالغة :

لهذا الغرض- في ما يتعلق بموضوع البحث- صورٌ متعددةٌ ، وهي كما يأتي :

1. **شدة العداوة :**

اتضح هذا الغرض من خلال حركةِ العينين و((العين العضو السيميائي الأكثر ثراءً في الإشارة ، ولغةُ العيونِ تقول في التواصلِ ما لا يقوله اللفظ ، ولا سيما في سياقاتٍ معينةٍ موسومةٍ بالخطرِ والممنوعِ والتحذيرِ ، أو طلبِ فعلٍ ما ، أو تومئ العين إعجاباً أو سخريةً ، ويُفهم المعنى بما يرافق هذه اللوحة الإيمائية من حركات مرافقة في الوجه))[27] ، فقد قيل في سياق الحديث عن فعْلِ الكافرين في قوله تعالى :) bÎ)ur ßŠ%s3tƒ tûïÏ%©!$# (#rã xÿx. y7tRqà)Ï9÷"ã s9 óOÏdÌ »|Áö/r'Î/ $£Js9 (#qãèÏÿxœ t ø.Ïe%!$# tbqä9qà)tƒur ¼çm¯RÎ) ×bqãZôfpRmQ ([القلم/51] : والزَّلقُ: المكانُ المزلقُ ، وزَلَقٌ ومَزْلَقٌ مكان لا يثبتُ عليها قدمٌ ، و زلقه وأزلقَهُ ببصره :أحَدَّ النظر إليه [28] ، ولما كان الزلق يفضي إلى السقوط في الغالب أُطْلِقَ الزلقُ وما يشتقُّ منه على السقوط والاندحاضِ على وجه الكناية [29] ،والمعنى : أنهم لشدة عداوتهم لك يا محمد(r) ينظرون إليك شَزَراً بحيث يكادون يزلُّونَ قَدَمَكَ ويصرعونك ، وهذا مستعملٌ في كلام العرب ، يقول القائل:نظر إليَّ نظراً يكاد يصرعني به، ونظراً يكاد يأكلني فيه ، وتأويله: نظر إليَّ نظراً لو أمكنه معه أكلي أو أنْ يصرعني لفعل[30] ، والسياق اللفظي قد أعان على صحة هذا المعنى إذْ قَرَنَ هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله :(لمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) فالكافرون كانوا يكرهون ذلك أشدَّ الكراهية ، فيحدُّونَ النظرَ إلى رسول الله (r) بالبغضاء[31] ، وقد جُعِلَ هذا النظرُ مبالغةً في عداوتهم فكأنَّه سرى من القلبِ والجوارحِ إلى النظر

---

[21] . ينظر: أسس السيميائية :254()

[22] . ينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب : 135()

[23] .علم الدلالة:د. أحمد مختار عمر: 11، وينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات :47 ()

[24] . تطور البحث الدلالي : 18 ()

[25] .ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها :342 ()

[26] للوقوف على مفهوم هذه المصطلحات وتطورها عند الباحثين العرب والغربيين القدامى والمحدثين ، ينظر : الإشارة في الفكر اللغوي عند العرب : ()
. 7-63 ، رسالة ماجستير تقدم بها الطالب : عقيل جابر كاظم / كلية التربية – جامعة القادسية ، 2009م

[27] . علم لغة الحركة بين النظرية والتطبيق :145 ()

[28] . (ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: 382 ،مادة (زلق) ، ولسان العرب:10/114 ،مادة(زلق ()

[29] . ينظر: التحرير والتنوير: 29/100 ()

[30] .ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 23/ 564 ، ومعاني القرآن وإعرابه : 5/165 ()

[31] ينظر: معالم التنزيل : 8/ 202 ()

فعادَ يعملُ في الجوارح [32] ، فتحولت حِدَّةُ البصر من فعل حسي عن بُعْدٍ عن طريق العين الباصرة إلى فعلٍ ماديّ عن طريق الملامسة ، لأنَّ (أزلق) تعني أنَّ هناك تدخلاً مباشراً من المقابل في الفعل .

ب. شدة الغيظ :

الغيظُ : أشدُّ الغضبِ ، وهو حرارةٌ يجدها الإنسانُ من فوران دمِ قلبه [33] ، وقد استعان القرآن الكريم بالحركة الجسمية (عضِّ الأنامل) للدلالة على شدة غيظِ المنافقين إذا ما خلوا إلى أنفسهم حيث لا يراهم المؤمنون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم [34] ، وذلك في قوله تعالى : [öNçFRr'¯»yd Ïälw'ré& öNåktXq™7ÏtéB Ÿwur öNä3tRq™6Ïtä† tbqãYÏB÷sè?ur É=»tGÅ3ø9$$Î/ ¾Ï&Íj#ä. #sŒÎ)ur öNä.qà)s9 (#þqä9$s% $¨YtB#uä #sŒÎ)ur (#öqn=yz (#q ‘Òtã 4 #ø9ó‹tø‹Åä Ï`B tRF{$# ¨@Ÿ ÏB$ãNä3ø‹n=tæ ([آل عمران/ 119] ، ففي هذه الحركة(عض أطراف الأصابع) دلالة على شدة الغيظ ، والسياق اللفظي (من الغيظ) قد عزز هذه الدلالة فـ (مِنْ) للتعليل ، والغيظ هنا من مجاز المثال وإنْ لم يكن عضٌ [35] ، وفي عضِّ الأنامل ما يهدِّئ الروع ، ويخفف الحزن ، فكأنَّ العاضَّ قد ظفر ببعض ما أراد ،تصويرًا للحالة النفسية التي اعترت أولئك المنافقين .

ج. المبالغة في التستر :

ورد هذا الغرض في القرآن الكريم من خلال نهي المؤمنات عن ضرب أرجلهنَّ في الأرض لتُسمِعْنَ أصواتَ خلاخيلهنَّ وذلك في قوله تعالى : (Ÿwur tûøóÎ ôØo„ £`ÎgÎ=ã_ö ‘r'Î/ zNn=÷èã‹Ï9 $tB tûüÏÿøƒä† `ÏB £`ÎgÏFt^ƒÎ – ([النور/ 31]، والأصل في الضَّرْبِ :" إيقاع شيءٍ على شيءٍ"[36] ،فقوله : (ولا يضربْنَ بأرجلهن) هو أنْ تقرعَ المرأةُ الخلخالَ بالآخر عند الرجالِ ليُعْلَمَ أنَّها ذات خلخالين فنهى الله (U) عن ذلك لأنه مِنْ عملِ الشيطان [37] ،وفي النهي عن إظهارِ صوتِ الحلي بعد النهي عن إبداءِ عينِها من المبالغةِ في الزجْرِ عن إبداء موضعها ما لا يخفى[38] ، وقد عدَّ الدكتور مهدي أسعد عرار هذه الآية من المتمِّمات المساندة في التنزيلِ العزيز التي لها فضْلٌ في الإبانةِ والتواصل ، ومن شأنها أن تمدَّ المتلقي بمعانٍ مخصوصةٍ كاشفةٍ للحالات النفسيةِ والذهنيةِ التي تعتري صاحبَها .[39]

د. المبالغة في سدِّ المسامع :

ورد هذا الغرض عن طريق الحركةِ المتمثلةِ في جعلِ الإصبعِ في الأُذُن وذلك في سياق الحديث عن المنافقين في قوله تعالى: (rr& 5=ÍhŠ|Áx. z`ÏiB Ïä!$yJ¡¡9$# ÏmŠÏù ×M»uKè=àß÷ Ó‰ôãu ‘ur ×-ö t/ur tbqè=yèøgs† ÷Làiyè Î6»|¹r& þ’ Îû NÍkÍX#sŒ#uä z`ÏiB 4 ª!$#ur 8ÝŠÏtèC tûïÌ Ïy»s3ø9$$Î u ‘x‹tn ÏNöqyJø9$# /È,Ïãºuq¢Á9$# [البقرة/ 19] ، والمعنى: أنهم يتقون وعيد الله(U) الذي أنزله على لسان نبي الرحمة(r) بما يبدونه بألسنتهم من ظاهر الإقرار اتقاء الخائف من أصوات الرعد بتغطيته أذنيه وتصيير أصابعه فيها حذراً على نفسه منها [40] ،وهذا مجازٌ مشهورٌ من بابِ التوسُّعِ في اللغة وعلاقته الجزئية ، لأن الذي يُجعل في الأُذُنِ إنما هو رأسُ الإصبع ، ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل [41] ، أو للإشباع في بيان سدِّها باعتبار الذات كأنهم سدوها بجملتها لا بالأنامل فحسب ، ويجوز أن يكون فعلُهم إيماءً إلى كمالِ حيرتهم وفرطِ دهشتهم بحيث لا يهتدونَ إلى استعمالِ الجوارح على النهج المعتاد [42] ، وفي الآية لمحةٌ لطيفةٌ عن أدبِ القرآنِ الكريم ،فالإصبعُ التي تُسَدُّ بها الأُذن إصبعٌ خاصةٌ وهي السبَّابةُ ، فلمَ ذكرَ الله (U) الاسمَ العـامَّ (الأصابع)دون الخاص(السبابة)؟ الجواب: لأنّ السبَّابة على زنة (فَعَّالة) من السبِّ فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن [43]

---

[32] ينظر: روح المعاني:29/38 ().

[33] ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 619 ، مادة (غيظ) .

[34] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 7/ 152 ().

[35] ينظر : معالم التنزيل : 2/96 ، والجامع لأحكام القرآن : 4/ 178 ().

[36] (مفردات ألفاظ القرآن : 505، مادة (ضرب) .

[37] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 19/ 164 والكشاف: 3/237 ().

[38] ينظر: الكشاف:3/237-238، والجامع لأحكام القرآن : 12/205، وإرشاد العقل السليم :6/171 ().

[39] ينظر: البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد) :190 ().

[40] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 1/340 ().

[41] ينظر: الكشاف:1/117 ().

[42] ينظر:إرشاد العقل السليم :1/53 ().

[43] ينظر: الكشاف:1/117 ().

وقد يقترن جعْل الأصابع في الآذان باستغشاءِ الثيابِ وجعلها غطاءً ، وذلك في سياق الدعوات المتكررة التي دعاها سيدنا نوح(u) إلى قومه[44] في قوله تعالى:) ’ ÎoTÎ)ur $yJ¯=à2 öNßgè?öqtãyŠ t ÏÿøótgÏ9 óOßgs9 (#þqè=yèy_ ÷Làiyèî6»|¹r& þ’ Îû öNÍkÍX#sŒ#uä (#öqt±øótGó™$#ur öNåku5$uŠÏO (#r |Àr&ur (#rç y9õ3tFó™$#ur $t6õ3ÏGó‘ #Y™#$# ([نوح / 7]، فاستغشاؤهم ثيابهم ، أي: "جعلوها غشاوةً على أسماعهم وذلك عبارة عن الامتناع عن الإصغاء" [45] ، ومن هنا يكون استغشاؤهم ثيابهم وجعلها غطاءً على أعينهم تعضيداً لسدِّ آذانهم بالأصابع ، فعبَّر عن الأنامل بالأصابع مبالغةً في إرادة سدِّ المسامع ولم يكتفِ النصُّ المقدس بذلك حتى قرَنَهُ باستغشاء الثياب مبالغةً في الإعراض [46] ، وأكده بالاستكبار المتحصل بالمفعول المطلق المؤكِد لعامله في قوله : (#)) $t6õ3ÏGó‘ #Y #ur$#™rç y9õ3tFó™$ (، ولم تكن فعلةُ أولئك الجاحدين مرةً واحدةً بل مرات بدلالة السياق اللفظي في قوله :)كُلَّمَا(وقوله:)أَصَرُّوا (.

2. الندم والتحسر :

ورد هذا الغرض بأشكال متعددة في القرآن الكريم كأنْ يكونَ من خلال عضِّ اليدين أو تقليب الكفين أو من خلال نكس الرأس بدلالة السياق ، فقد قيل في سياق قصة الظالم عقبة بن أبي معيط وخليله أمية بن خلف [47] في قوله تعالى : (tPöqtƒur Ùyètƒ ãNÏ9$©à9$# 4’ n?tã Ïm÷ƒy‰tƒ ãAqà)tƒ ÓÍ_tFø‹n=»tƒ ßNõ‹sƒªB$# yìtB ÉAqß™§ 9$# Wx‹Î6y™ * 4ÓtLn=÷ƒuq»tƒ ÓÍ_tFø‹s9 óOs9 õ‹Ïƒ ªBr& $ºRŸxèù WxŠÎ=yz ([الفرقان/ 27-28] : والعضُّ : أزْمٌ بالأسنان ، وذلك عبارةٌ عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك [48] ، لأنهم تعارفوا في بعض أغراض كلامهم أنْ يصحبوها بحركاتٍ بالجسد من مثل التشذُّر وهو رفعُ اليدِ عند كلامِ الغضب ، ومنه في الندم: قرعُ السنِّ بالإصبعِ وعضُّ السبابةِ وعضُّ اليدِ ، وهي كناياتٌ قد وردتْ في كلام العرب اعتمادًا على ما يلازمها في العُرْفِ من معانٍ نفسيةٍ وأصلُ نشأتِها تهيُّجُ القوةِ العصبيةِ نتيجة غضبٍ أو تلهُّفٍ [49] .

ومن المتعارف في كلام العرب للدلالة على الندم والتحسر قولهم : سُقِطَ في يده ، وأُسْقِطَ [50] ، ومنه قوله تعالى في سياق اتخاذ قوم موسى (u) العجلَ إلهاً بعد عودته من الميقات في قوله تعالى : (x‹sƒªB$#ur ãPöqs% 4Óy›qãB .`ÏB ¾ÍnÏ‰÷èt/ ô`ÏB óOÎgÍhŠÎ=ãm Wxôfïã #Y‰|¡y_ ¼ã&©! î ‘#uqäz 4 óOs9r& (#÷rt tƒ ¼çm¯Rr& Ÿw öNßgßJÏk=s3ãƒ Ÿwur öNÍk‰Ï‰öhtƒ ¸x‹Î6y™ ¢ çnrä‹sƒªB$# (#qçR%Ÿ2ur šúüÏJÎ=»sß * $®RmQur xÝÉ)ß™ þ_Îû öNÍgƒÏ‰÷ƒr& (#÷rr&u ‘ur öNßg¯Rr& ô‰s% (#q =|Ê (#qä9$s% ûÈõs9 öN©9 $oYôJymö tƒ $oYš/z’ ö Ïÿøótƒur $uZs9 ¨ûsðqà6uZs9 šÆÏB šúïÎ Å£»y¸ø9$# ([الأعراف/ 148-149] ، فمن شأنِ مَن اشتدَّ ندمه وحسرته أنْ يعضَّ يده غمًّا وندمًا وحسرةً ، فتصير يده مسقوطًا فيها ، لأنَّ فاه قد وقع فيها [51] ، والندم وإنْ حلَّ في القلب فأثره يظهر في البدنِ ، لأنَّ من شأن النادم المتحسر أنْ يَعَضَّ يده مثلاً ، أو غير ذلك من حركات اليد- كما سيأتي- ولأنَّ مباشرةَ الأشياءِ غالبًا ما تكونُ باليد [52] .

ومن حركاتِ اليدين تقليبُ الكفين ظهرًا لبطن إشارةً إلى حال النادم وما يتعاطاه في حال ندمه [53] ، ففي سياق قصة الأخوين اللذين كان أحدهما مؤمنًا والآخر كافرًا ، وقد أهلك الله (U) مُلكَ الكافرِ في قوله تعالى :) xÝ‹Ïmé&ur ¾ÍnÌ yJsWÎ/ yxt7ô¹r'sù Ü=Ïk=s)ãƒ ÏmøŠ¤ÿx. 4’ n?tã !$tB t,xÿRr& $pk Ïù } ‘Édur îptƒÍr%s{ 4’ n?tã $pkÅrã ãã ãAqà)tƒur ÓÍ_tFø‹n=»tƒ óOs9 &õ8Î õ°é& þ’ În1t Î/ #Y‰tnr ([الكهف/ 42] ، كنَّى القرآن الكريم عن الندم والتحسر بتقليب الكفين ، لأنَّ النادم يقَلِّبُ كفيه ظهرًا لبطن ، ولأجل هذا المعنى عدى تعديته بـ (على) ، فكأنَّه قال : فأصبح يندم [54] .

---

[44] . ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 23/ 631()

[45] . (مفردات ألفاظ القرآن :607 ، مادة (غشي ()

[46] . ينظر: معاني القرآن وإعرابه : 5/ 178()

[47] . ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 19/262 ، ومعاني القرآن : النحاس : 5/21 ، والكشاف : 3/ 281 ()

[48] (ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 570 ، مادة (عض ()

[49] ينظر : المحرر الوجيز : 5/ 106 ، والتحرير والتنوير: 19/ 38 ()

[50] . (ينظر : لسان العرب : 15/419 ، مادة (يد ()

[51] . ينظر : الكشاف : 2/ 151 ()

[52] . ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 7/ 252 ، و فتح القدير : 2/282 ()

[53] . (ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 713 ، مادة (كف ()

[54] . ينظر : الكشاف : 2/676 ، وزاد المسير : 5/146 ()

والمتحصل أنَّ حركات اليد في الآيات المتقدمة قد وقعت كنايات عن الندم والتحسر - في الرأي الغالب -[55] ، "لأنها من روادفها ، فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف ، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه "[56] .

وتظهر الوجهة الجمالية البلاغية في الآية المتقدمة من خلال الحركة الجسدية في سياقها الشريف الذي يبعثُ في نفسِ المتلقي إعجابًا واسترجاعًا للمقولة المأثورة بأنَّ للنصِّ القرآني حلاوةً ، وأنَّ عليه طلاوةً ، وأنَّ أعلاه لمثمرٌ ، وأنَّ أسفله لمغدقٌ ، وما هو بقولِ بشرٍ ، وللمرء أنْ يتدبرَ ليلحظَ البونَ الشاسعَ المتجلِّيَ آثارًا نفسيةً وذهنيةً بين قول الناسِ : (فأصبحَ نادمًا) ، وقول ربِّ الناسِ(yxt7ô¹r'sù Ü=Ïk=s)ãƒ ÏmøŠ¤ÿx(:) .U([الكهف/ 42] [57] .

ومن (نكس الرأس) دلالةً على الندم والتحسر قوله تعالى : (öqs9ur #“t s? ÏŒÎ) šcqãBÌ ôfßJø9$# (#qÝ¡Ï.$tR öNÎhÅ™râäâ ‘ y‰ZÏã óOÎgÎn/u ‘ !$oY/u ‘ $tR÷ |Çö/r& $uZ÷èÏJy™ur $oY÷èÅ_ö ‘$$sù ö@yJ÷ètR $·sÎ=»|¹ $¯RÎ) šcqãZÏ%qãB ([السجدة/ 12].

وهنا يجوز أن يكونَ الخطابُ للنبي محمد(r) وفيه وجهان :

الأول: أنْ يرادَ بـ(لو) التمني لرسول الله أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الندم والخزي والغم ، والثاني : أنْ تكونَ (لو) الامتناعية وقد حذف جوابها وتقديره : لرأيت أمرًا فظيعًا ، ويجوز أن يكون المراد بالخطاب كل أحدٍ[58] وإن كان البحث يميل إلى الوجه الثاني وقد حذف جواب الشرط على سبيل التهويل تصويرًا لحالتهم الفظيعة من الندم والخزي ، فهم يستغيثون بقولهم:)رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا(فلا يُغاثون ، وعلى أية حال فالحركة الجسمية هنا في نكس الرأس ، والنَّكْسُ :" قَلْبُ الشيء على رأسه ، والناكسُ : المطأطئ رأسه " [59] .

3. الذلة :

ورد هذا الغرض من خلال حركة العينين ، ومن ذلك (خشوع البصر) ، ففي سياق الذين كذَّبوا بيوم القيامة واتبعوا أهواءهم عبّر القرآن الكريم بهذه الحركة الإشارية دلالةً عن الذلة ، وذلك في قوله تعالى : (è¤±äz·$ óOèdã »|Áö/r& tbqã_ã øƒs† z`ÏB Ï^#y‰÷`F{$# öNåk¨Xr(x. ×Š#t y_ × Å³tFZ B ([القمر/ 7]، فخُشَّعٌ أبصارُهم : أي ذليلة فكأنهم ينظرون من طرفٍ خفي ، وهي نظرةُ الخائف الذليل [60] .

ونظرة الخائف المفتضَح في معرض يوم القيامة تكون من (طرف خفي) وذلك في قوله تعالى : (öNßg1t s?ur tbqàÊt ÷èãƒ $ygøŠn=tæ šúüÏèÏ±»yz z`ÏB ÉeA–%!$# šcrã ÝàZtƒ `ÏB >$ö sÛ <c’ Å"yz 3 [الشورى/ 45] ، فقوله : (خاشعين) : أي : ((خاضعين متذللين)) [61] ، وطرَفُ الشيء : جانِبُهُ ، ويستعمل في الأجسام والأوقات ، وطَرْفُ العينِ : جفنُهُ ، والطرف : تحريك الجفن ، وقد عُبِّر به عن النظر إذْ كان تحريك الجفنِ لازمهُ النظر [62] .

وقد قيل في الآية أقوال ، والأولى بسياق الآية أنَّ الكافرين ينظرون نظرًا خفيًّا لا حدَّ له فهو كمسارقةِ النظرِ كما ترى المصبور ينظرُ إلى السيف ، وهكذا نظر الناظرِ إلى المكاره لا يقدرُ أنْ يفتحَ أجفانَه عليها ، وذلك من هَوْلِ ما يراه من العذاب ، والعرب تصفُ الذليلَ بغضِّ البصرِ كما يستعملون في ضده حديدَ البصرِ إذا لم يتهمْ برييةٍ [63]، وأثرُ العزِّ والذلِّ يبينُ في نَظَرِ الناظر.

4. الاستهزاء :

استعمل القرآن الكريم حركة العينين (الغمز) دلالةً على الاستهزاء بلحاظ السياق الخارجي ، فقد قيل في سبب نزول قوله تعالى : (bÎ) šúïÏ%©!$# (#qãBt ô_r& (#qçR%x. z`ÏB tûïÏ%©!$#¨ (#r” tB öNÍkÍ5 tbrâ“tB$tótGt ƒ(#qãZtB#uä tbqä3ysôÒtƒ * #sŒÎ)ur ([المطففين/ 29-30]: جاء علي بن أبي طالب (u) في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ، وقالوا

---

[55] (: قال الشوكاني في قوله تعالى (tPöqtƒur Ùyètƒ ãNÏ9$©à9$# 4’ n?tã Ïm÷ƒy‰tƒ)((الظاهر أنَّ العضَّ هنا حقيقة]) الفرقان / 27].ولا مانع من ذلك ولا موجب لتأويله))، فتح القدير : 4/84

[56] . الكشاف : 3/ 280 ، وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : 2/302 (

[57] . ينظر: البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد) : 197 (

[58] . ينظر : الكشاف : 3/ 517 ، وزاد المسير : 6/ 336 (

[59] . (لسان العرب : 6/ 241 ، مادة (نكس (

[60] . ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 17/ 114 ، والتحرير والتنوير: 27/ 171 (

[61] . جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 21/ 552 (

[62] . (ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 571 ، مادة (نظر (

[63] . ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 21 / 552 ، و الكشاف : 4/235 ، وتفسير القرآن العظيم : 7/214 (

أترونَّ هذا الأصلع في إشارة إلى علي بن طالب (u) فنزلتِ الآيةُ قبل أنْ يصل علي(u) إلى رسول الله(r)[64] ، فقوله (يتغامزون) أي : يغمز بعضهم بعضاً ، ويشيرون بأعينهم استهزاء [65] ، وأصل الغمز : " الإشارة بالجفن أو اليدِ طلبًا إلى ما فيه مُعابٌ ، ومنه قيل : ما في فلانٍ غَمِيزةٌ ، أي : نقيصةٌ يُشار بها إليه " [66] .

والذي عزَّزَ دلالة الاستهزاء الإشارة السمعية الصوتية المتمثلة بضحك أولئك المجرمين ، والضحك : انبساط الوجه وتكشُّر الأسنان من سرور النَّفْسِ ، واسْتُعِيْرَ الضحك للسخرية[67] ، وإنما استعمل المجرمون الغمز دلالة على الاستهزاء من دون إعلان السخرية بالمؤمنين اتقاءً منهم لأنَّهم كانوا كثيراً بمكة حين نزول الآية[68] .

واللَيُّ : فتل الحبل ، ولوى فلانٌ رأسه وبرأسه : أماله[69] ، واللي في الأصل : الإراغة ، أي : إدارة الجسم غيرِ المتصلبِ إلى غير الجهة التي هو ممتدٌ إليها ، ومن ذلك ليُّ الحبل ، وليُّ العنان للفرس ، وليُّ العنق وليُّ الرأس [70] ، ومن ليِّ الرأس حركة إشارية دلالةً على الاستهزاء قوله تعالى : (#sŒÎ)ur Ÿ@‹Ï% öNçlm;# (#öqs9$yès? ö ÏÿøótGó¡o„ öNä3s9 ãAqß™u ‘ «!$# (#÷r§qs9 ÷Làiy™râäâ ‘ öNßgtG÷ƒr&u ‘ur tbr ‘‰ÝÁtƒ Nèdur tbrç É9õ3tGó¡ B ([المنافقون/ 5] ، والمعنى : وإذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لوَّوا رؤوسهم، أي: حرّكوها وهزّوها استهزاء برسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وباستغفاره[71] .

وقد نزلت الآية في عبد الله بن أبيّ ، إذْ قيل له: تعالَ ليستغفر لك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلوى رأسه وقال: ماذا قلت؟[72] ، استهزاء برسول الله(r) ، وذهب الزمخشري ووافقه غير واحد من أهل التفسير إلى أنَّ المعنى : ((عطفوها وأمالوها إعراضًا عن ذلك واستكبارًا)) [73] ، ولعلَّ الوجهَ الأولَ أولى ، إذ أجمع القراء على قراءة (لوّوا) بتشديد الواو، على وجه الخبر عن المنافقين دلالة على أنهم كرروا هزَّ رؤوسهم وتحريكها وأكثروا ذلك إلا نافعًا فانَّه قرأ ذلك بتخفيف الواو، على وجه أنهم فعلوا ذلك مرَّة واحدة [74]، ورجَّحَ الطبريُّ وغيره قراءةَ مَنْ شدَّدَ الواو لإجماعِ الحجةِ من القُرَّاءِ عليه[75] ، وتكرار تحريكِ الرؤوسِ وهزِّها يتناسبُ ودلالة الاستهزاء ، والظاهر أنَّ مَن ذهب إلى أن المعنى : الإعراض والاستكبار قد اعتمد سياق الآية النصي وهو قوله تعالى : (öNßgtG÷ƒr&u ‘ur tbr ‘‰ÝÁtƒ Nèdur tbrç É9õ3tGó¡ B ([المنافقون/ 5] ، وهو معنى محتمَلٌ فِعْلاً صادرًا من المنافقين ، فمَنْ قال بدلالةِ الاستهزاءِ عدَّ تحريكَ المنافقين رؤوسهم على الحقيقة ، ومَنْ قال بدلالة التكبر والإعراض على ما قيل لهم عدَّ الآية من بابِ الكناية[76] ، غير أنَّ الأولى هو المعنى الأول بدلالةِ إجماعِ القُرّاءِ على قراءة تشديد الواو ، ويمكنُ الجمعُ بين الرأيينِ فالمنافقونَ لا يَصْدُرُ منهم إلا كل فعلٍ قبيحٍ .

5. التكبُّر :

يظهر معنى الكِبر والخيلاءِ على الإنسان في هيئات متباينة فقد تدل عليه هيأةٌ جسديةٌ تظهر على الجوارحِ ، فتغدو ناطقةً كما اللفظِ [77] ، وذلك من خلال حركات إشارية متعددة ترمز إلى هذا الغرض كالإعراض والنأي بالجانب أو من خلال إمالة الرأس أو تصُّعر الخدِّ ومشية المتبختر وغير ذلك ، ففي قوله تعالى : (sŒÎ)ur $oYôJyè÷Rr& ’ n?tã Ç`»|¡SM}$# uÚ{ ôãr& $t«tRur#! ¾ÏmÎ7ÏR$pg¿2 ( #sŒÎ)ur çm¡¡tB ¤³9$# tb%x. $U™qä«t ƒ ( [ الإسراء /83] وقوله تعالى sŒÎ)ur $uZôJyè÷Rr& ’ n?tã Ç`»|¡SM}$# uÚt ôãr& $t«tRur ¾ÏmÎ7ÏR$pg¿2#! (: #sŒÎ)ur çm¡¡tB ¤³9$# rä‹sù >ä!$tãßŠ <Ù‡Ì tã ([فصلت / 51] ، تجد وصفًا وتذكيرًا بضربٍ من ضروبِ طغيانِ النفسِ البشريةِ غيرِ خاصٍ بأهلِ الشركِ بل تجده حاضراً في جميع الناس إلا مَنْ عصم الله ، فإذا أصابته السراء تكبَّر ونسِيَ شُكْرَ ربِّه ، وإذا أصابته الضراءُ لم يصبرْ وتراه يلجأ إلى ربِّه يلحُّ

---

[64] ينظر : الكشاف : 4/ 724 ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : 3/617 ()

[65] ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 24/ 303 ، والكشاف : 4/ 724 ، وأنوار التنزيل : 5/ 382 ()

[66] ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 614 ، مادة (غمز) .

[67] (ينظر : م.ن : 501 ، مادة (ضحك) .

[68] ينظر : التحرير والتنوير: 30/ 188 ()

[69] ينظر : مفردات ألفاظ القرآن: 752 ، مادة (لوى) .

[70] ينظر : التحرير والتنوير : 3/139 ()

[71] ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 23/397 ، ومجمع البيان : 10/372 ، وفتح القدير :5/276 ()

[72] ينظر : معاني القرآن وإعرابه :5/138 ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن : 23/397 ()

[73] الكشاف :4/543 ، وينظر :والجامع لأحكام القرآن : 12/18 ،وأنوار التنزيل وأسرار التأويل :1/343 ، وتفسير القرآن العظيم :8/126 ()

[74] ينظر : السبعة في القراءات :636 ، ومعاني القراءات :491 ()

[75] ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 23/397 ، ومجمع البيان : 10/372 ، وفتح القدير :5/ 276 ()

[76] ينظر : روح المعاني :28/112 ()

[77] ينظر : البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد) : 185 ()

بسؤالِ كشفِ الضُّرِ [78] ، ((والنأي بالجانب : أنْ يلوي عن الشيء عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تأكيد للإعراض ، أو عبارة عن الاستكبار ، لأنه من ديدن المستكبرين)) [79]

ومن الوصايا النافعة التي حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم ؛ ليتمثّلها الناس ويقتدوا بها قوله تعالى : (Óo_ç6»tƒ ÉOÏ%r& no4qn=¢Á9$# ö ãBù&ur Å$rã ÷èyJø9$$Î/ tm÷R$#ur Ç`tã¢ Ì s3ZßJø9$# ÷ É9ô¹$#ur 4’ n?tã !$tBy7t/$|¹r& ( ¨bÎ) y7Ï9ºsŒ ô`ÏB ÇP÷“tã Í ‘qãBW{$# * Ÿwur ö Ïiè|Áè? š‚£‰s{ Ä¨$¨Z=Ï9 Ÿwur Ä·ôJs? ’ Îû ÇÚö ‘F{$# $·mt tB (¨bÎ) ©!$# Ÿw =Ïtä† ¨@ä. 5A$tFøƒèC 9 ‘qã‚sù ([لقمان / 17-18]) ، والحركة الإشارية الدالة على النهي عن التكبر قد وردت في جمل قرآنية متعددة ، ففي قوله تعالى:)وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ (قال الخليل : إنَّ الصَّعَر : "مَيَل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين والتَّصعير إمالة الخدّ عن النظر إلى النَّاس تهاوناً من كِبْر وعظمة كأنَّه مُعْرض "[80] ، وقيل: إنَّ أصل(الصعر) داءٌ يأخذُ الإبلَ في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها، فيُشبَّه به الرجلُ المتكبرُ على الناس ، ومعنى الكلام : ولا تعرضْ بوجهك عمَّن كلمته تكبرًا واستحقارًا لمن تكلمه[81] ، والملاحظ أنه قد صيغ في قوله : (تصعِّر) صيغةَ تكلُّف بمعنى تكلَّفَ إظهارَ الصعْرِ وهو تمثيل للاحتقار ، لأنَّ مصاعرَةَ الخدِّ هيأةُ المحتقرِ المستخف في غالب الأحوال[82] .

وفي النص المتقدم حركة إشارية رمزية في النهي عن المشي في الأرض مرحًا ، والمرح : " شدة الفرح والتوسع فيه "[83] وهي مشيةُ الجذلِ المتكبِّر ، أي: ولا تمشِ في الأرض مختالاً [84] ، وهي تمثيلٌ كنائيٌ عن النهي عن التكبرِ والتفاخرِ لا عن خصوصِ بالمشْيِ في حالِ المرحِ فيشملُ الفخرَ عليهم بالكلامِ وغيره ، وانتصب على الصفة لمفعولٍ مطلقٍ ، أي مشيا مرحاً ، وموقع قوله: (فِي الْأَرْضِ) بعد (لا تَمْشِ) مع أن المشي لا يكون إلا في الأرض هو الإيماء إلى أن المشي في مكان يمشي فيه الناسُ كلُّهم قويهم وضعيفهم، ففي ذلك موعظة للماشي مرحًا أنه مساوٍ لسائر الناس. [85] .

ومن الحركات الإشارية التي تدلُّ على التكبر التمطِّي بأنْ يمدَّ الجاحِدُ مطاه ، أي : ظهره ، والمطية : ما يُرْكَبُ مَطاه من البعير[86] وذلك في قوله تعالى : (Ÿxsù s-£‰|¹ Ÿwur 4’ ©?|¹ * `Å3»s9ur z>¤‹x. ¯<uqs?ur * §NèO |=ydsŒ #’ n<Î) ¾Ï&Î#÷dr& # ‘©ÜyJtGt ƒ4’ ([القيامة/ 31-33]) .

6. كمال أدب رسول الله (r) :

الحركة الإشارية التي أدتْ إلى هذا الغرض هي تقلُّب وجه رسول الله (r) نحو السماء ، وذلك في قوله تعالى: (ô‰s% 3“t tR |= =s)s? y7Îgô_ur ’ Îû Ïä!$yJ¡¡9$# (y7¨YuŠÏj9uqãYn=sù \'s#ö7Ï% $yg9|Êö s? 4 ÉeAuqsù y7ygô_ur t ôÜx© Ï‰Éfó¡yJø9$# ÏQ#t ysø9$# ß]øŠymur $tB óOçFZä. (#q–9uqsù öNä3ydqã_ãr ¼çnt ôÜx© 3 4 ([البقرة/ 144]) ، و" قَلْبُ الشيء : تصريفُهُ وصرفُهُ عن وجْهٍ إلى وجْهٍ ، كقلب الثوب ، وقَلْبُ الإنسان ، أيْ: صرفه عن طريقته " [87] ، وهو المراد في الآية ، فأريد بالتقلُّب هنا : التحوُّل والتصرُّف [88] ، وقد قيل في سبب نزول الآية أنّ رسول الله(r) لمَّا هاجرَ إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله(U) أنْ يستقبلَ بيتَ المقدسِ ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله (r) ستة عشر شهراً وكان(r) يحب أنْ يحوله الله(U) إلى الكعبة لأنها قبلةُ أبيه إبراهيم(u) وأقدم القبلتين وأدعى للعرب إلى الإيمان ،كان يدعو وينظر إلى السماء ، وقد دلَّ تقلُّبُ وجه رسول الله (r) نحو السماء على كمالِ أدبِهِ حيث انتظرَ ولم يسألْ [89] .

7. التهويل :

---

[78] ينظر : التحرير والتنوير : 25/88 .

[79] إرشاد العقل السليم : 5/191 ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 21/491 ، ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل :7/179 .

[80] (العين : 1/ 298 ، مادة (صعر) .

[81] ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 20/ 143 ، ومعالم التنزيل : 6/289 ،والجامع لأحكام القرآن : 14/64 .

[82] ينظر : التحرير والتنوير : 21/110 .

[83] (مفردات ألفاظ القرآن :764 ، مادة (مرح) .

[84] ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 20/ 145 ، ومعالم التنزيل : 6/289 ،وتفسير القرآن العظيم :6/339 .

[85] ينظر : التحرير والتنوير : 21/110 .

[86] (مفردات ألفاظ القرآن:771 ، مادة (مطى) .

[87] (مفردات ألفاظ القرآن:681 ، مادة (قلب) .

[88] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 3/ 172 ، والجامع لأحكام القرآن : 2/144 .

[89] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 3/ 174 ، وأنوار التنزيل:1/420،وإرشاد العقل السليم:1/174،وروح المعاني:2/8 .

ورد هذا الغرض من خلال عدة حركات إشارية من مثل شخوص الأبصار والإسراع في المشي وطأطأة الرأس وعدم تحريكهم أجفانهم ، ففي سياق الحديث عن أولئك الذين كذبوا وجحدوا بنبوة نبي الرحمة(r)[90] قال تعالى: (Ÿwur útù|¡óss? ©!$# ¸xÏÿ»xî $£Jtã ã@yJ÷èt*f* šcqßJÎ=»©à9$# 4 $yJ¯RÎ) öNèdã ½jzxsã*f* 5QöquŠÏ9 ßÈy¸ô±n@ ÏmŠÏù ã »|Áö/F{$# * šúüÏèÏÜôgãB ÓÉëÏYø)ãB öNÎhÅ™râää ‘ Ÿw ‰s?ö t*f* öNÍkö s9Î) óOßgèùö sÛ (öNåkèEy‰Ï«øùr&ur Öä!#uqyd ([إبراهيم / 42-43] ، فشخوصُ البصرِ : ارتفاعه ، وهو نظرُ المبهوتِ الخائفِ ، فأبصارُهم لا تقرُّ في أماكنها مِنْ هَوْلِ ما ترى[91] ، ومن جملةِ مشاهدةِ هولِ أحوالِ الظالمين الإهطاعُ ، و" المهطع : المقبلُ ببصرِهِ على الشيء لا يرفعُه عنه" [92] ، وقيل : معناه : إسراعُ المشي مع مدَّ العنق كالمتخِّل ، وهي هيئة الخائف [93] ، ولعلَّ هذا أولى بسياق الآية ، ومن جملة ذلك الإقناع ، و"المقنع رأسه : الذي رفعه وأقبل بطرفه على ما بين يديه " [94] ، وهي حركة إشارية رمزية تدل على طأطأة الرأس من الذل [95] ، و يُعَدُّ عدم تحريك أولئك الظالمين أجفانهم من جملة ما يدلُّ على هول ما يرونه ، فعيونُهم مفتوحة ممدودة من غيرِ تحريكٍ للأجفان[96]، فنظرُهم لا يعودُ إلى مُعتادِهِ ، بمعنى لا يستطيعون تحويله ، وهو كنايةٌ عن هولِ ما شاهدوه بحيث يبقون ناظرين إليه لا تطرف أعينهم [97] ،((وفي هذه الآية وصفٌ ذو دلالات لحركاتٍ جسديةٍ نستعين على تعيينها بدلالة السياقِ الكليةِ التي تتجلى على جوارحهم عينًا ، ورأسًا ، وطرْفًا)) [98] وقد قال تعالى في تهويل ذلك اليوم:) ([المعارج/43-44].

8. التوبيخ والتأنيب :

ومن الحركات الإشارية التي ترمز إلى التوبيخ ، القبض على اللحية والرأس وجرِّهما ، وذلك في سياق قصة سيدنا موسى (u) مع أخيه هارون (u) حين أشرف على قومِهِ وهم عاكفون على عبادةِ العِجْلِ[99] في قوله تعالى : (tA$s% ¨PàsuZö6t*f* Ÿw õ‹è{ù's? ÓÉLu‹ósÎ=Î/ Ÿwur ûÓÅ›ù&t Î/ (’ ÎoTÎ) àMŠÏ±yz br& tAqà)s? |Mø%§ sù tû÷üt/ ûÓÍ_t/ Ÿ@*ƒ*ÏäÂt ó™Î) öNs9ur ó=è%ö s? Í<öqs ([طه / 94] ، فقد نادى هارون (u)سيدنا موسى (u) ونسبه إلى الأمِّ مع كونه أخاه لأبيه وأمه استعطافًا له وترقيقًا لقلبه وتذكيرًا بأقوى أواصر الأخوة ، وهي آصرةُ الولادةِ من بطنٍ واحدةٍ والرضاع من لبنٍ واحدٍ [100] ، ومعنى (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أي :لا تأخذ بلحيتي ولا بشعر رأسي ، قبض عليهما يجرهما إليه [101] ، تأنيبًا لهارون على عدم أخذه بالشدة على عَبَدَةِ العجلِ واقتصاره على تغيير ذلك عليهم بالقول، وذلك دليل على أنه غيرُ معذورٍ في اجتهادِهِ الذي أفصحَ عنه بقوله تعالى : (’ ÎoTÎ) àMŠÏ±yz br& tAqà)s? Í<öqs ’ s? ó=è%ö ûÓÍ_t/ Ÿ@*ƒ*ÏäÂt ó™Î) öNs9ur sù tû÷üt/ %|Mø%§ ([طه / 94] ،

---

[90] . ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 7/ 467 ()

[91] . ينظر: الكشاف : 2/ 528 ()

[92] . (العين : 1/ 101 ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 843 ، مادة (هطع ()

[93] ينظر: تفسير غريب القرآن : 233 ، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن :17 / 31 ، والكشاف : 2/528 ،وإرشاد العقل السليم : 4/ 47 ، والتحرير () والتنوير : 12/ 267

[94] . (تفسير غريب القرآن : 233 ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 686 ، مادة (قنع ()

[95] . ينظر : إرشاد العقل السليم : 4/ 47 ، والتحرير والتنوير : 12/ 267 ()

[96] . ينظر: الكشاف : 2/ 528 ، وتفسير القرآن العظيم : 4/ 515 ()

[97] .ينظر : التحرير والتنوير : 12/ 267 ()

[98] . البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد) : 196 ()

[99] . ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 18 / 359 ()

[100] . ينظر : فتح القدير : 3/ 452 ، والتحرير والتنوير : 16/ 171 ()

[101] . ينظر : الكشاف : 3/ 84 ، وأنوار التنزيل : 4/ 135 ()

وعذره جعله مستحقاً التوبيخ والتأنيب [102] ، وقد عطف النصُّ القرآنيُّ الرأسَ على اللحيةِ لأنَّ أَخْذَه مِنْ لحيتهِ أشدُّ ألماً وأنكى في الإذلال [103] .

9. التعجب المصاحب للإنكار:

ورد ذلك في سياق قصة سيدنا إبراهيم (u) وقت تبشير زوجه(سارة) – في أصح الأقوال- بمولودها وهو إسحاق (u)[104] ، لأنَّ الصفة التي ذكرها القرآن الكريم صفة سارة لا هاجر ، وهي امرأة إبراهيم[105] ، وذلك في قوله تعالى: (ÏMn=t7ø%r'sù ¼çmè?r&t øB$# ' Îû ;o§ |À ôM©3|Ásù $ygygô_ur ôMs9$s%ur î–qègx” ×LìÉ)tã [الذاريات / 29]) ، والحركة الإشارية في قوله تعالى:)صَكَّتْ وَجْهَهَا(، و((الصَّكُّ: الضَّرْبُ الشَّدِيدُ بِالشَّيْءِ الْعَرِيضِ، وَقِيلَ: هُوَ الضَّرْبُ عَامَّةً بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ)) [106] ،والمعنى ، أي: لطمتْ وجهَهَا، وقيل :جمعتْ أصابعَها فضربتْ جبينَهَا تعجبًا، كعادةِ النساءِ إذا أنكرْنَ شيئًا [107].

وقد دلّتْ هذه الحركة الإشارية على تعجبها وقوةِ إنكارها ذلك الخبر، وقد أعان السياق على تحقق هذه الدلالة، فالآية القرآنية بشأن ولادة نبي وهو (إسحق) (u)، وأبوه إبراهيم (u) نبي، وحدوث أمرٍ خارجٍ عن العادة شيءٌ متوقعٌ ، غير أنّ هذا كلّه لا يسعفُ الموقفُ عند زوجِه، فكانت النتيجة أمرين:

أحدهما: الحركة الإشارية لزوج إبراهيم (u) المتمثلة بضربها جبهتها، أي: لطمها وَجْهَهَا.

والآخر: الترتيب المقصود لقولها، إذ قالت أولاً: (عجوز) بمعنى أنّها في وقت قد يئست فيه انتظار مولود، ثم أردفته مباشرة بقولها (عقيم) رغبةً في تصاعد ذلك الإخبار ودليلاً على قوّةِ إنكارها وتعجبها ممّا بُشّرَتْ به.

ولا ريب أنْ يُصاحِب قولها: (عجوزٌ عقيمٌ) أداءٌ صوتيٌّ تنغيميٌّ صاعدٌ لتحقق هذه الدلالة، وهو ما دفع بعض أهل اللغة إلى تقدير محذوف هنا، والمعنى: أنا عجوز عقيمٌ، أي: فكيف ألد؟[108]

وأغلب الظنِّ أنّ ابن جني قد أفاد من الآية القرآنية المتقدّمة في توجيه سياق الحال في قول الشاعر: [109]

تَقُوْلُ: -وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بيمينها – أَبَعْلِيَ هذا بالرحى المُتَقَاْعِسُ

إذْ أشار ابن جنّي إلى أنّ الشاعر لمّا حكى الحال بقوله: (صكّتْ وجهها) عُلِمَ بذلك قوّة إنكار تعجّب المرأةِ، وتعاظم الصورة لديها، مع أنّ القارئ سامعٌ لحكايةِ الحال، غير مشاهدٍ لها، وقد اعتبر الشاعر بمشاهدةِ الوجوه وجعلها دليلاً على ما في النفوس[110].

ويتّضح مما تقدّم بأنّ ما أشار إليه ابن جنّي لبيان سياق الحال في عبارة (صكّت وجهها) لم يكن أمراً جديداً، من خلال اعتماد الشاعر على اللفظ القرآنيِّ نفسِه ، غير أنّه قد وضّح هذا النوع من السياق أيَّ توضيح ممّا يدلُّ على براعته وعنايته بهذا العنصرِ المهم في توجيهِ المعنى [111].

10. السرعة المطلقة :

استعان القرآن الكريم بحركات الجسد دلالةً على السرعة المطلقة ، ففي قصة سيدنا سليمان (u) - في قوله تعالى: (A$s% ×Mƒ{ øÿÏã z`ÏiB Çd`Éfø9$# O$tRr& y7‹Ï?#uä ¾ÍmÎ/ Ÿ@ö6s% br& tPqà)s? `ÏB y7ÏB$s)¨B ( ' ÎoTÎ)ur Ïmø‹n=tã ;“Èqs)s9 ×ûüÏBr& * tA$s% “Ï%©!$# ¼çny‰ZÏã ÒOù=Ïæ z`ÏiB É=»tGÅ3ø9$# O$tRr& y7‹Ï?#uä ¾ÍmÎ/ Ÿ@ö6s% br& £‰s?ö tƒ y7ø‹s9Î) y7èùö sÛ 4 [النمل /39-40]) - حركتان جسميتان ، إحداهما: من دلالات هيأة لوازم الجلوس ، وهي قيامُ سيِّدِنا سليمان (u) من مقامِه ، وذلك في قوله تعالى : (tA$s% ×Mƒ{ øÿÏã z`ÏiB Çd`Éfø9$# O$tRr& y7‹Ï?#uä ¾ÍmÎ/ Ÿ@ö6s% br& tPqà)s? `ÏB y7ÏB$s)¨B)

---

[102] : ينظر : التحرير والتنوير : 8/298 . من اللافت للنظر أن قبض موسى على شعر رأس هارون تأنيبًا وتوبيخًا قد ورد في آية أخرى من قوله تعالى (x‹s{r&ur Ä¨ù&t Î/ Ïm‹Åzr& ÿ¼çn” ègs† Ïmø‹s9Î) 4 tA$s% tûø6$# ¨Pé& ¨bÎ) tPöqs)ø9$#

[103] ' ÎTqàÿyèôÒoKó™$# (#rßŠ%x.ur ÓÍ_tRqè=çGø)tƒ Ÿxsù ôMÏJô±è@ š†Î1 uä!#y‰ôãF{$# ([الأعراف / 150]

. ينظر : التحرير والتنوير : 16/ 171 ()

[104] . ينظر : معالم التنزيل في التفسير والتأويل :7/277 ، ومجمع البيان : 9/201 ()

[105] .ينظر : الكشاف :4/405 ()

[106] (لسان العرب :10/456 ، مادة (صكك ()

[107] . ينظر : جامع البيان :22/428 ،و معالم التنزيل في التفسير والتأويل :7/277 ، ومجمع البيان : 9/201 ()

[108] . ينظر : جامع البيان :22/428 ،ومعاني القرآن وإعرابه :5/55،ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل :7/277 ، ومجمع البيان : 9/201 ()

[109] (هو نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي . ينظر : لسان العرب : مادة (ردع ()

[110] . ينظر : الخصائص : 1/246-248()

[111] (ينظر : الدلالة القرآنية عند أبي جعفر النحاس : 136-137 . (أطروحة دكتوراه ()

([النمل /39] ، إذ قال العفريت - وهو الخبيث المارد -[112] : أنا آتيك بعرشِ بلقيسَ قبلَ أنْ تقومَ من مقعدك هذا ، وقد ذُكر أنه كان يجلس للقضاء بين الناس إلى انتصاف النهار[113].

والأخرى : من دلالاتِ حركةِ العينِ وهيأتها ، وذلك في قوله تعالى :) A$s% ‘‘Ï%©!$# ¼çny‰ZÏã ÒOù=Ïæ z`ÏiB É=»tGÅ3ø9$# O$tRr& y7‹Ï?#uä ¾ÍmÎ/ Ÿ@ö6s% br& £‰s?ö tƒ 4 y7ø‹s9Î) y7èùö sÛ ([النمل /40] ، قيل : هو آصف بن برخيا كاتبُ سليمانَ (u) ، وكان صَدِيْقًا عالماً ، وقيل غير ذلك[114] ، وحقيقةُ ارتداد الطرْفِ : ((رجوع تحديق العين من جهة منظورة تحول عنها لحظة. وعُبِّر عنه بالارتداد لأنهم يعبرون عن النظر بإرسال الطرف وإرسال النظر فكان الارتدادُ استعارةً مبنيةً على ذلك)) [115] ، وذلك إشعارٌ لتحققِ إتيانِ ذلك العرش بأسرع ما يمكن .

واستعمالُ القرآن الكريم (ردّ الطرف) بين سيِّدنا سليمان (u) وبين كاتبِه يثيرُ خلجاتٍ نفسيةٍ تفصح بجلاءٍ عن أريحية متبادلةٍ بين الاثنين ، فرسولُ الله قريبٌ من الله ، والذي عنده علمٌ من الكتاب قريبٌ من رسولِ اللهِ ، ويظهر هذا الأمر جليًا إذا قابلنا بين هذه الصورةِ الفنيةِ الرائعةِ التي تبعثُ على الأريحية والأُلْفَةِ بين سيِّدنا سليمان (u) وبين كاتبه ، وبين صورةِ ذلك العفريت الخبيث الذي قَرَنَ إتيان عرشِ بلقيسَ بقيامِه مِن مقامِه للقضاءِ خليفةً لله في أرضه ، ولعلَّ هذه الأريحية والأُلفة تتناسبُ وسياق الآية في قول تعالى :) ‘Jn=sù çn#uäu£$ É)tGó¡ãB ¼çny‰ZÏã tA$s% #x‹»yd `ÏB È@ôÒsù ’ În1u ‘ þ’ ÎTuqè=ö6u‹Ï9…# &ã ä3ô©r&uä ÷Pr& ã àÿø.r (([النمل /40] ، والله أعلم .

10. التواضع :

من حركاتِ المشْيِ وهيأته مدحُ الله (U) تخلّق قومٍ بصفة تؤذن بالحلم والسكينة والوقار، غير مستكبرين ولا ساعين في الأرض بالفساد والمعاصي[116] ، وذلك في قوله تعالى :) ß‰$t7Ïãur Ç`»uH÷q§ 9$# šúïÏ%©!$# tbqà±ôJtƒ ’ n?tã ÇÚö ‘F{$# $ZRöqyd #sŒÎ)ur ™ãNßgt6sÛ%s{ šcqè=Îg»yfø9$# (#qä9$s% $VJ»n=y ([الفرقان / 63] ، هم عبادُ الرحمن (U) الذين يطيعونه ، وقد أضاف العباد إلى الرحمن تخصيصًا وتفضيلاً [117] ، و((المشيُ : الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ بإرادة)) [118] ، وتأتي لفظة الهَوْنُ في اللغة صفةً نفسيةً تدلُّ على ((تذلُّلِ الإنسان في نفسه لما لا يُلْحِقُ به غضاضةً ، فيُمدحُ به)) [119] ، وقوله : (يمشون هونًا) حال ، أو صفةً للمشي والمعنى : هينين ،أو مشيًا هينًا غيرَ أنَّ وضع المصدرِ موضعَ الصفة قد وردَ مبالغةً [120] ، وقد قرن الله(U) وصفهم بالتواضع وهو المشي على الأرض هونًا بوصف آخر يناسب ذلك التواضع وكراهية التطاول ، وهو متاركةُ الجاهلين الذين يؤذونهم بالخطاب ، وهؤلاء الجاهلون يومئذٍ هم المشركون إذ كانوا يتعرضون للمسلمين بالأذى والشتم ، فعلمهم الله متاركة السفهاء ، فالجهلُ هنا ضدُّ الحلم . [121]

11. إظهار آيات الله :

لله (U) جملةُ آياتٍ يظهرُها على يَدِ مخلوقيه لحكمةٍ يطلبُها ، ففي سياقِ قصةِ سيدنا زكريا (u) حين بُشِّر بولادة سيدنا يحيى (u) في قوله تعالى :) tA$s% Éb>u ‘ 4’ ¯Tr& ãbqä3tƒ ’ Í< ÖN»n=äî ô‰s%ur zÓÍ_tón=t/ ç y9Å6ø9$# ’ ÎAr&t øB$#ur Ö Ï%$tã (tA$s% š Ï9ºx‹x. ª!$# ã@yèøÿtƒ $tB âä!$t±o„ * tA$s% Éb>u ‘ @yèô_$# þ’ Ík< Zptƒ#uä (tA$s% ‘y7çGtƒ#uä wr& zOÏk=x6è? }¨$¨Y9$# spsW»n=rO BQ$ƒr& wÎ) #Y‘‘øBu ([آل عمران / 40-41] ، سأل سيدنا زكريا (u) اللهَ تعالى علامةً يعرفُ بها وقتَ حملِ امرأتِه ليزيدَ في العبادةِ شكرًا لله فجعل تلك العلامةَ وهي عدم مقدرته على الكلامِ إيماءً من غير آفةٍ حدثتْ فيه ، وإنما خصَّ تكليمَ الناسِ ليُعلمهُ أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة ، مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ، وهي من الآيات الباهرات [122] ، فقوله : (رمزًا) أي: إشارة ،وقد تستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين ، وأصلها الحركة [123] .

---

[112] . ينظر : الكشاف : 3/372 ()

[113] . ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 19/460 ()

[114] . ينظر : الكشاف : 3/372 ()

[115] . التحرير والتنوير : 19/264 ، وينظر : الكشاف : 3/372 ()

[116] . ينظر : جامع البيان : 19/293، والكشاف :3/297 ، والجامع لأحكام القرآن : 13/67 ()

[117] . ينظر : الكشاف :3/296 ()

[118] . (مفردات ألفاظ القرآن : 769 ، مادة (مشى) ()

[119] . (مفردات ألفاظ القرآن : 848 ، مادة (هان) ()

[120] . ينظر : الكشاف :3/296 ()

[121] . ينظر : التحرير والتنوير : 19/89 ()

[122] . ينظر : الكشاف :1/388-389 ، ومجمع البيان :2/564 ()

[123] ينظر : معالم التنزيل: 2/36، وأنوار التنزيل :1/ 37، والجامع لأحكام القرآن :4/81 ،وإرشاد العقل السليم : 2/34 ()

وفي سياق قصة سيدتنا مريم (عليها السلام) حين جاءتْ قومَها تحمل سيدنا عيسى (u) في قوله تعالى :) ôNu ‘$x©r'sù Ïmø‹s9Î) ((#qä9$s% y#ø‹x. ãNÏk=s3çR `tB šc%x. ’ Îû ¹ Ï‰ôgyJø9$# $wŠÎ6| ([مريم / 29] ، فقوله (أشارتْ إليه) في الآية أي: " أشارت لهم إلى عيسى أنْ كلِّموه " [124] ، فإشارتها قد دلَّت على أنَّها تحيلهم إليه ليسألوه عن قصته ولذلك غضبوا وقالوا: لسخريتها بنا حتى تأمرنا أنْ نكلِّمَ هذا الصبيَّ أشدُّ علينا من زناها ما يعني أنهم قد فهمُوا ذلك من إشارتها [125]، وإنما اكتفتْ بالإشارةِ ولم تأمرْهُ بالنطقِ لأنَّها نذرتْ للهِ صوماً ، وإنما اقتصرتْ على الإشارةِ مبالغةً في إظهارِ الآيةِ العظيمةِ ، وأنَّ هذا المولودَ يفهم الإشارةَ ويقدِّرُ العبارةَ . [126]

ومما تقدم اتضح للبحث جملة مسائل:

- تعامل علماء العربية القدامى مع الرمز والإشارة بوصفهما مصداقين لحركاتِ الجسد ، تعبيرًا عن الدلالة المقصودة ، مع ملاحظةِ السياقِ القرآنيِّ ، فلا دلالةَ دونما سياق .
- أغلبُ الدلالاتِ التي ذكرَها البحثُ هي تمثيلٌ كنائيٌ ، مبالغةً في الحَدَث .
- إذا كانت اللغةُ وسيلةً من وسائلِ الاتصالِ الاجتماعي ، فالذي يبدو أنَّ ابن جني كان يقصدُ شقًّا واحدًا في حدِّه للغة بأنها ((أصواتٌ يعبِّر بها كلُّ قومٍ عنْ أغراضِهم)) [127] ، وهو الإشارات السمعية التي يندرج فيها كلٌّ من الكلام والموسيقى الصوتية التي ينتجها الإنسانُ بوساطةِ الفم ، وغيرِها من الأصواتِ التي لا يستعملُ الإنسانُ فيها إلا أوتارَهُ الصوتيةُ فقط ، إذ لم يشرْ في حدِّه إلى الإشاراتِ البصريةِ التي تقوم على حركاتِ الجسَدِ أداةً للتواصلِ الاجتماعيِّ .

غير أنَّ ابنَ جني لم يَغْفَلْ ما للإشارةِ البصريةِ من مكانةٍ أداةً للتواصلِ الإنسانيِّ ، ويظهر هذا الأمرُ جليًّا في قوله: ((يا فلان أينَ أنتَ أرني وجهَكَ أقْبِلْ عليَّ أحدثكَ أما أنت حاضرٌ يا هناه. فإذا أقبلَ عليه وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك. فلو كان استماعُ الأذُنِ مغنيًا عن مقابلةِ العينِ مجزئًا عنه لما تكلَّفَ القائلُ ، ولا كلَّفَ صاحبَه الإقبال عليه والإصغاء إليه)) [128] ، وتظهرُ عبقريةُ ابنِ جني الفذة وهو يحكي عن أحدِ مشايخه قوله : ((أنا لا أحسنُ أنْ أكلِّمَ إنسانًا في الظُّلْمَة)) [129] ، ومن هنا تُعَدُّ الدلالة المقصودة غيرَ واضحةٍ إذا ما كانتِ المسافةُ بين الباثِّ والمسْتَقْبِل بعيدةً جدًا ، كما في الحديثِ الهاتفي ، فقد يقولُ أحد الأشقياءِ لآخر: إني أودُّكَ ، إشارةً صوتيةً ، وقد تصاحبُ إشارته تلك جهامة في الوجه ، أو إشارة لما فيه معاب ، صورةً من صورِ النفاقِ الاجتماعيِّ ، وقد أفاد ذلك الشقيُّ من بُعْدِ المسافةِ بينه وبين المسْتقبِل ، فاتخذها وسيلةً ليعبِّرَ من خلال حركاتِ الجسد عن مكنوناتِهِ النفسيَّةِ ، ومن هنا فقد أجاد ابن جني وأحْسَنَ في استشهاده بالظُّلْمَةِ (عدم وضوح الإشارة البصرية) ، واتخاذها دليلاً على خفاءِ الدلالةِ المقصودة .

- إضافة إلى ما ذكره البحث من اتخاذ العينين وسيلةً لبيان الدلالة المقصودة ، يرى البحث أنَّهما من المتممات المساندة الأكثر ثراءً في بيان تلك الدلالة ، فأغلب الدلالات التي ذكرها البحث تظهر آثارها في العينين أداةً للتعبير ، ففي مشهدِ اتقاءِ وعيدِ اللهِ (U) يجعلُ المنافقون أصابعَهم في آذانهم مبالغةً في سدِّ المسامع ، ولا ريبَ أنْ يُقرنَ ذلك بإغلاقٍ تامٍّ للعينين ، وإني لا أستطيعُ أنْ أتوهَّمَ ذلك الذي يعضُّ يديه ندمًا دونما تضييقٍ للعينين ، وتظهر نظرةُ الانكسارِ جليةً تصويرًا لذلك الذي يقلِّبُ كفيه ظهرًا لبطنٍ دلالةً عن الندم ، ويبدو أنَّ تضييقَ إحدى العينين من المتممات المساندة في ليِّ الرأس حركة إشارية دلالةً على الاستهزاء ، ولا ريبَ أنْ تصاحبَ مِشية المتواضعِ نظرة سكينةٍ ووقار ، بخلاف نظرة المتكبِّرِ المفعَمَةِ بالخيلاء ، ومن الحركاتِ الجسدية التي ترمز إلى التوبيخ ، القبضُ على اللحيةِ والرأسِ وجرِّهما ، وذلك في سياق قصة سيدنا موسى (u) مع أخيه هارون (u) حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل ، ويبدو أنَّ ذلك التوبيخ والتأنيب يكون أكثر تعبيرًا عن الدلالة المقصودة من خلالِ فَتْحِ سيدِنا موسى (u) كلَّ العينين غضبًا لله (U) ، وكأني برسول الله (r) وقد أرخى عينيه مقلِّبًا وجهه الشريف نحو السماءِ سائلاً ربَّ العزَّةِ تحويل قِبْلةِ المسلمين من بيتِ المقدس إلى الكعبة المشرفة ، ومن هنا فقد أحسن عريب محمد عيد وأجاد بقوله : ((العين العضو السيميائي الأكثر ثراءً في الإشارة ، ولغةُ العيونِ تقول في التواصلِ ما لا يقوله اللفظ ، ولا سيما في سياقاتٍ معينةٍ موسومةٍ بالخطرِ والممنوعِ والتحذيرِ ، أو طلبِ فعلٍ ما ، أو تومئ العين إعجاباً أو سخريةً)) [130]

---

[124] . جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 18/ 188 ()

[125] .ينظر: الجامع لأحكام القرآن : 11/95 ، والكشاف:3/17 ، وتفسير القرآن العظيم: 5/228 ، والتحرير والتنوير :16/33 ()

[126] . ينظر : فتح القدير : 3/ 392 ، وإرشاد العقل السليم :5/263 ()

[127] . الخصائص : 1/ 34 ()

[128] م.ن : 1/248 ()

[129] . المصدر نفسه والصفحة نفسها ()

[130] . علم لغة الحركة بين النظرية والتطبيق :145 ()

روافد البحث

أولاً : الكتب المطبوعة :

- القرآن الكريم .

- أ -

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، المعروف بـ (تفسير أبي السعود) ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت 951هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان – بيروت، ط1، د.ت .
- أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر ، ترجمة : د. طلال وهبة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2008م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بـ (تفسير البيضاوي) ، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت685هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1990م .

- ب -

- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، مطبعة المدني، ط5، 1985م.

- البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد) ، د. مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 2007م .

- ت –

- التحرير والتنوير ، المعروف بـ (تفسير ابن عاشور) ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م .
- تطور البحث الدلالي، دراسة في النقد البلاغي واللغوي، د. محمد حسين علي الصغير، منشورات دار الكتب العلمية، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1988م.
- تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة (ت 276هـ) ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1978م .
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774 هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، 1999م

- ج -

- جامع البيان في تأويل القرآن ، المعروف بـ (تفسير الطبري) ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310 هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، 2000 م .
- الجامع لأحكام القرآن ، المعروف بـ (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت671 هـ) ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 2004م .

- خ -

- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحقيق: محمد علي النجار،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4، 1999م.

-د-

- ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، تحقيق : عبد أ .علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ،1992م .

- ديوان الفرزدق ، شرحه الأستاذ علي خريس ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط1 ، 1996م .

- ر -

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت 1270هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

- ز –

- زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ) ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1404 هـ .

-س-

- السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، لأبي بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ط2، 1400هـ .

- ص-

- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت 256 هـ)، ضبطه محمد عبد القادر احمد عطا، دار التقوى للتراث، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.

- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت 261 هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت.

- ع –

- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1982م.

- علم لغة الحركة بين النظرية والتطبيق ، عريب محمد عيد ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط1 ،2010م .

- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980 م – 1985م.

- ف –

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ط1 ،1414 هـ

هوامش البحث

- فقه اللغة وسر العربية ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 2002م .

- ك –

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538 هـ)، علق عليه وخرج أحاديثه، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط2، 2001م.

- ل -

- لسان العرب، لابن منظور المصري، (711هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، 1955م.
- اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، د. هادي نهر لعيبي ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الأردن ، ط1 ،2009م.
- اللغة العربية، معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ، 1994م .

- م –

- مباحث في علم اللغة واللسانيات،، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 2002م.
- المحرر الوجيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى : 546هـ) ، تحقيق : عبد الله إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، د.ت .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المعروف بـ (تفسير النسفي) ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ، ط1، 1998م .
- معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516 هـ) ، تحقيق : محمد عبد الله النمر ، وآخرون ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط4 ، 1997م.
- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس (ت 338 هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، ج1-3/1988، ج4-6/1989م.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت 311 هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.
- معاني القراءات ،لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ) ، تحقق : الشيخ أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 999م.
- المعنى اللغوي ((دراسة عربية مؤصلة نظرياً وتطبيقاً)) ، د. محمد حسن حسن جبل ، مكتبة الآداب ، ط1 ، 2005م .
- مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، (ت حوالي 425هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط3 ، 1424 هـ .

- ن –

- النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسن (دراسة ونصوص) ، فاطمة الطبال ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1993م .

ثانياً : الرسائل والأطاريح :

- الإشارة في الفكر اللغوي عند العرب ، رسالة ماجستير تقدم بها الطالب : عقيل جابر كاظم ، كلية التربية – جامعة القادسية ، 2009م .
- الدلالة القرآنية عند أبي جعفر النحاس ، أطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب : علاء كاظم جاسم الموسوي ، كلية الآداب- جامعة القادسية ، 2004م .